

ستوكهولم



ستوكهولم ، مجموعة قصصية

رباب السنهوري

الطبعة الأولى: 1443 هـ - 2022م

© جميع حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني محفوظة

مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر

44، شارع سوتير، أمام كلية الحقوق، جامعة الإسكندرية، مصر،

موبايل: 01030036491 هاتف: 034830903

بريد إلكتروني: levant.egsy@gmail.com

موقع إلكتروني: www.levantcenter.net

رقم الإيداع: 2022/7828م

الترقيم الدولي: 3-50-6931-977-978

الغلاف والإخراج: إيهاب رشدي



ستوكهولم

مجموعة قصصية

رباب السنهوري

إهداء

لكل من كتب بدافع من ضميره،

لفرسان الحق، الباحثين عنه،

وإلى أمي، أبي،

عزّاب رحلتي محمد السنهوري.

ما بين المحاصرين تحت ألسنة النار
وأعمدة الدخان، والقابعين على الأرائك.
مسافة لا تتعدى السننيمات.

لحن ناي

صوت الصفعة التي تلققتها - حين أدلت برأيها- كان صاخبًا؛
استدعى حذر الجميع. لم يشغل بالها إلا ذاك الأثر الذي خلفته
على شفاهها.

تساءلت لماذا كل الصفعات تترك لديها ذات الأثر؟!
شفتان داميتان متورمتان.

تتوارى من الظلمة، وأمام زاوية في المرآة يداعبها شعاع ضوء
يأس. تحاول أن تستعيد.. كيف كانت تتكلم!؟

أومب.....أ ..

مقطوعة موسيقية حزينة لياسر عبد الرحمن. يصخب صوتها
فيولد فرحة لدى الحضور!!
تنتهي نمرة نهى لتأتي نمرتي، أنزل على (البيست) بغنج يعشقه
جمهوري.

الهواء المفتوح للكازينو...جسدي النحيل، مكياجي الصاخب،
وبزة رقصي المفتوحة من أعلى الفخذ... يغرونهم بالسهر.
يسعدهم الجلوس أمامي وأنا أتلوى. يدخلون النارجيلة، ينفخون
أنفاسها بنشوة كأنما يبعثونها للأفق.

- ترى ما الذي يوصلهم إليها؟!

أبدأ في الرقص، أميل بجسدي يمنة ويسرة. ثم أعود برأسي
للوراء، تزداد الموسيقى شجنا، وحينها أرجع بمؤخرتي للوراء... مؤدّ
ببطء تلك الحركة الشهيرة، أطيلها كي يدركوا تمكني منها فأنال
رضا الحضور، ومديري.

- سيد

- نعم يا علا.

- تفكر ح نقدر نعلم الأولاد؟

تقتلني ذكرى انكفاء أُمي في خدمة البيوت؛ لمساعدتي بعدما فرغت طاقة احتمال علا وهجرتي، وصورة أبنائي وهم يبيعون عقد الحجر. تحت شمس الجنوب بجنيهن أو كما يوجد المشتري. رؤيتهم يعملون في هذه السن كانت قاسية علىّ. هم الآن لا يجدون حتى من يبيعونه عقد الحجر. فقد خلا الجنوب إلا من رحلات المدارس. التي تزورنا على استحياء مرتعبة.

اللافتة التي وضعت بالخط العريض في مدخل المدينة:
(ادخلوها بسلام آمنين) لم تساهم في عودة الحياة إلينا.
ما زلت هنا... أخاف أن يلمحني أحدٌ من جيراني، على الرغم أنه من المشهور عنا نحن رجال الجنوب أنا لا نخاف:
هل ترحمني أُمي؟! أتغفر لي إن ذهب إليها أحدهم وأخبرها؟!
- ابنك سيد بيهز وسطه.

البيست المفتوح الذي أرقص عليه يجعل الجميع في شرم يروني. من دفع لينتشي، ومن يزور المدينة لينتشي دون أن يدفع الكثير.

مستر تامر في غرفة المراقبة يتابعني، ربما يرى المدينة بأكملها... يراقب كل حركاتي وهمساتي، ونظرات أعين من بالصالة إلىّ.

بعد العرض يقترب منّي متوددًا:

- سيد... كان أداؤك ممتازًا.

رأيتك أكثر من مرة يفعل الشيء ذاته مع نهى وآخرين من

زملائنا!

لا تكفيه أعين الكاميرات المسلطة علينا أربعًا وعشرين ساعة؛

يصطنع لنفسه أيضًا عيونًا من وسطنا.

يصخب صوت الموسيقى أكثر، ثم تدلف نهى بجسدها البض

وظلعتها الندية على البيست، وتقترب مني... ترقص بعنفوان يثير

رجولتي.

أتذكر حين حاولت يومًا الاقتراب منها، وكيف جعلتني أنقن

هذا الغنج الذي يغري زبائننا. صدمتني:

- سيد أنا (بعاملك زي) أختي.

تعاملني كأختها! ترى ما الذي دفع بها إلى هنا؟!

لا أدري... فهي لا تبوح بشيء، حتى في أشد حالات حزنها

ترتمي في أحضاني؛ لأنها تدرك حبي لها. لكنني بعد ما قالت له لم

أعد لأجرؤ على ملامستها.

ها هي تقترب منّي أكثر فأكثر.

قلبي وجسدي يرتجفان؛ في كل مرة تقترب منّي فيها، كأنها
المرّة الأولى، لكن الجمهور يرتجف لي أكثر مما يرتجف لها.
عيونهم التي تنقب بزة رقصي، تحاول أن تكتشف ملامح
جسدي المستوي، تمنعهم في كل هزة لي تخبرني بذلك.
تميل نهى على أذني بنبرة حادة:
- مستر تامر يحذرك، أداؤك سيئ الليلة.
ثم تستدير برقة نحلة؛ لتتخرط معي في الرقص.

أَلَا تَرَى (1)

تلك المؤخرة التي تتدلى هناك. فلتنطبق نخاميتها على باسورها.
انطلق حينها عيارٌ مدوّ، لم يدِر أحد من أين؟! ... فكانت
مشيئته.

بعدها رفع ابن آمون يده في تودة وعجرفة:

- بوركتم يا حراس مملكة آمون.

استدار لرجاله، وقد اشتعلت عيناه:

فلتحفروا على عمق بعيد، أريدهم الثلاثة وحارسهم هذا بلا
خدش، يكفيننا ما فعله المستهزئون في سالف العهد، من تسوّل له
نفسه أن يخدشهم؛ فسيلقى مصيره... كما لقيته تلك المؤخرة هناك.
فشروط العقد صارمة، وتلك بلاد لا تعرف الهزل.

تطلعت إليه العيون في انكسار؛ لا يقدرّون حتى - على البوح -
بمكنون أنفسهم؛ فهم يدركون استحالة ما يأمرهم به، لكنهم ينفذون
أوامره منصاعين؛ فتمام الصفقة يبدو وكأنه الملاذ الأخير... بعدما
فرغت جعبة الجبايات والمقايضات.

¹ ألا ترى.. الكلمة الثالثة في نداء المزاد (ألا أونا.. ألا دو.. ألا ترى))

أمام شاشات التلفاز في الميادين وعلى المقاهي. تجلس الجماهير العريضة فاغرة فاها.

يشاهدون تفاصيل المشروع العظيم، يتابعونها لحظة بلحظة. ها هم العمال يمعنون في الحفر، يتمثلون كتماثيل القردة الثلاث، لا يفرقهم عنهم سوى تفانيهم في الانصياع لما أمروا به، يتصببون من العرق، ولا يكاد الواحد منهم يمد كفيه ليمسح عرقه... حتى تخمش حبات الرمل وجهه، فيعود للحفر من جديد. في الخلفية تصدح المطربة بصوتها الرنان.

- ما شافش الرجال السمر الشداد فوق كل المحن.
فتلهبهم حماسة داخلية:

- ترى هل سننجح!؟

عبثًا تسائل بعضها العيون، لكن الألسنة لا تجرؤ على البوح!
تلتقطهم أعين الرقيب.

- رفاهية التساؤل ليست ضمن خيارتنا... أعملوا معاولكم.
أياديكم يا رعايا آمون وخدام مجده... ستفوق الخبرات الأجنبية. عبثًا تظن اليونسكو أنها تملك معجزات النقل؛ فليقعوا لنا بعد اليوم ساجدين.

يتطلع إليه العمال مشدوهين... العرق والرمل أعطوا أفرولاتهم
البرتقالية ثقلاً. أجبروا على حمله.

ها هم يتابعون الحفر، تنتهي أغنية، لتبدأ أخرى.
تصخب مكبرات الصوت في الصحراء، تزرع في دواخل حبات
الرمل البطولة:

- ابنك يقولك يا بطل هات لي النهار. ابنك يقولك يا بطل
هات لي انتصار.

الحفر يتعمق ويتسع ليشمل المساحة بأكملها.
ها قد بدأ حصاد شهور من العمل المضني، اتسعت أحداق
الجميع فرحاً، وهم لا يكادون يصدقون أنفسهم.
الجميع يدركون أن ابن آمون لن يتهاون في ذرة تراب يخلفها
هذا الأثر الضخم وراءه؛ فهم يعتادونه صارماً في هكذا أمور.
هذه الأمور.

انتهى الحفر... رفعت القباب الثلاث وحاميمهم، وحملوا على
حاملات عملاقه، تم تزيينهم.. بطن من أوراق الورود الحمراء
القانية، كان امتزاجهما سرمدياً.

في احتفال مهيب. لبس به الآلاف من رعايا آمون زياً... يشبه
زي أسلافهم، يتحوطون بالصفقة... وسط فرح غامر يعتمل في

صدر القطر بأكمّله. تمضى القباب الثلاث وحاميمهم ويمضون
معها بتؤدة وخطوات رتيبه في حفل تشييع استعراضي.
ينتهي الحفل وقبل أن يباشروا مراسم النقل.
صاح ابن آمون في الحشد الغفير:
- أولاد القد.... لِمَ لَمْ تحيطوهم بشريط الهدايا؟

من فضلكم هددنوا السرعة

أفاق على صوت نفس الطفلة، وهي تعلن ببراءتها المعهودة...
رغبته في الحياة.

- (أنا نفسي أعيش)، وترسم قلبا بكفيها الصغيرتين لكل
مشاهديها.

بعدها يوضع على الشاشة رقم حساب المشفى لجمع التبرعات
رَبَّتْ بثقل شديد دون أن يدرك على كتف ابنه.

- حبيبي وقت ما اكون نايم ابقى وطي صوت التلفزيون.
راح يتناول طعام إفطاره، ومازال صوت الطفلة يرن في أذنيه،
تساءل في نفسه:

- هل تدرك هذه الطفلة بما تتشبهت!؟

لاحقته زوجته تعيد تذكيره بمصاريف الدروس، إيصالات
الكهرباء والماء، فاتورة الهاتف، وديونها التي استدانته من
زميلاتها.

ازدرد ريقه محاولا ابتلاع لقمة بفمه:

- حاضر.. ربنا يدبرها.

- أتمنى.

تركها ومضى متثاقلاً لعمله، أمامه ١٢ ساعة من العمل، ولا بد أن يستعيد رباطة جأشه كي يمر اليوم على خير... تنفس بعمق وأخذ يحدث نفسه .

- أنا بخير.. ليس هناك أفضل من وضعي... حياتي رائعة.

وقعت عيناه على مقلب القمامة الذي يقع شمالي بيته. يراه يوماً في طريقه للعمل، ذات المرأة الستينية تتكفى باحثة عن صفائح ((الكانز))، وزجاجات زيت فارغة وعلى بعد خطوات منها قطع أغنام يرعى، طفل يلهو، وكلب يبول.

وخلفهم لافتة مكتوبة بالخط العريض.. (نظافة المدينة مسؤوليتك).

على الطريق لافتة أخرى تأمره بتهدئة السرعة، نظر إلى حدائه والرتق الظاهر الذي يتوسطه فأوماً برأسه بعد أن لعن الإسكافي لقلّة خبرته.

على رصيف المحطة ينتظر القطار، الذي أتى متأخراً نصف الساعة عن مواعده.

اندس بداخل العربة المتكدسة، رائحة عرقه والجميع حوله تكتم الأنفاس، لكن أحداً لم ينبس ببنت شفة. فقد اعتادوا الأمر..

على سقف العربة قرأ...عبارة (حافظ على العربة لأنها ملك لك).

منصاعا أضاف تلك المهمة إلى قائمة مسؤولياته، ترجّل من القطار.

نظر مصعوقا للأسفل؛ فاطمأن أنه - لم ينسَ - أن يرتدي بنطاله ثم دلف إلى عمله... قابله رئيسه فور وصوله.

- حمدًا لله على سلامتك.

زفر زفرة مكتومة.

- الله يسلمك (يا أفندم).

- عندك تأخير نصف ساعة.. مخصوم منك يوم.

سأله بانكسار.

- ليه؟!!

لم يجب سؤاله، وقطع الطريقة مختالاً.. إلى مكتبه. ثم بعث له بالسكرتيرة، كانت خريجة حديثة.. منتشيه بذاتها، تضجر دوما منه؛ لأنه لا يطري عليها مظهرها...مثلما يفعل الآخرون. انتصبت أمامه بتعالٍ.

- المدير يبلغك.. أن مظهرك لم يعد مناسباً للعمل معنا.

نظر إليها مطولاً... دون اكتراث ولم ينطق؛ فازداد كرهها له،
تمنت لو تصفعه دون أن تلقى عقاباً ما. كان يدري بما يدور في
رأسها، أخيراً وقف بالقرب منها:

- ملابسكِ جميلة.

بعدها داعب خدها بجلافة، تشمّم رائحتها، ولهث في أذنها
ككلب تعب.

- أرجو أن تبقى هكذا دوماً.

وبسرعة التقط قِصَافَةَ الأوراق، ظننته سيقتلها... لكنه بدأ بقطع
بناطله قبيل عورته حتى بدت. فصرخت بشدة صرخات متكررة.

هرع إليها المدير وجميع العاملين.

حينها صعد فوق مكتبه أمسك عضوه، وبضحك هيسيتيري راح

يبول عليهم جميعاً.

مرفوع مؤقتاً

بعد أربع ساعات من البحث بلا جدوى... تحت شمس يوليو الحارقة. متنقلاً ما بين محال صغيرة وسلاسل كبرى، جميعها لافتاتها مزدانة بذات الشعار... أفعى تلتف على الكأس. ينتشل هاتفه النقال... يتصل بالخط الساخن لوزارة الصحة.. يأتيه صوت من الجانب الآخر.

- عزيزي المتصل الرقم الذي طلبته مرفوع مؤقتاً من الخدمة. دس هاتفه في جيبه الذي برز للخارج حين التقطه، وجسده بين الأجساد المحتشدة في طابور مكتظ، يختلط صراخ الأطفال بأنين المرضى بطلبات التعجل، ماء السكر الذي يسيل من أفواه الأطفال... يعلق حذاءه بالأرض.

بالكاد ناول روشته لعامل الصيدلية الذي التقطها مسرعاً، وضعها أسفل رزمة بيديه، واستدار.

مرت نصف الساعة... المكان يشتد ازدحامه، والأطفال يشتد صراخهم.

يصله صوت سيارة التبرع بالدم المصطفة على جانب الميدان.

- يعلن بنك دم وزارة الصحة عن قيام حملة التبرع. لضحايا
انقلاب قطار الأمس... سن التبرع من 18 إلى 60 عام ويتم
الكشف قبل التبرع.
تكرار الصوت...

جعله يتمم بشكل لا إرادي، وعيناه متجهتان صوب السيارة.
- يعلن بنك دم وزارة الصحة.. عن قيام حملة التبرع لحساب
مرضى السرطان والفشل الكلوي..
يأتيه صوت من الخلف لا يعرف مصدره.
- حتى دمنا يمصونه ويبيعونه.
يجيبه آخر..

- هو لو عندنا دم كان ده حالنا!!
التقت لمصدر الصوت فلم يجده، عادت عيناه لتتعلقا بالسيارة،
الطريق حولها... مزدحمٌ بالمارة.
يلمح طبيبياً شاباً يقترب من أحدهم محيياً، لكن الأخير يمر
مسرعاً دون اكثرث.

انبعث صوت أحدهم من أقصى المكان.. صارخا في المدير:
- العلبة دي اشتريتها منكم ... شغل مصانع تحت السلم.
البائع مازال يتفاوض... مع أغلب المنتظرين:

- أدويتك ناقصه.. لكن عندي البديل.
- ينسلت الواقفون واحداً تلو الآخر؛ بمجرد ذكر سعر البديل...
ضارين كفاً بأخرى.
- يسمع صوت ارتطام عنيف بالأرض يتلوه صياح أنثى.
- افسحوا.. هوا يا جماعه.. الراجل ح يموت.
- يلتف الواقفون حوله، محاولين إنقاذه، وهو منهم... يلتقط
الروشته من يده بينما يرقد.
- يزعق البائع ليفرقهم.. متسائلاً.
- حد معاه بصله؟
- يأتونه بواحدة يدشها ويضعها أمام أنف الرجل - لكنها لم تؤتِ
نفعاً، زعق ثانية:
- جورنال بسرعة..
- علت الهمهمات، ولم تهبط.
- معاك (جورنال)؟
- لا.
- صدرت ضحكة مكتومة تلاها تساؤل.
- هو عاد حد بيشتريه!؟

التفت كأغلب الواقفين لمصدرها باستتكار. ثم ذهب؛ لبيتاع
الجريدة، وغطى بها الجسد المُسجَى على ماء السكر... في
انتظار الشرطة.

فوق صدر المتوفى قبعت بعض تصريحات.. راح يقرؤها
بشكل لا إراديّ.

(التموين تحذر من انتشار لحوم الحمير بالأسواق، والصحة
تطمئن المواطنين بأن التعويم لن يكون ذا تأثير على سعر الدواء)
وأخيرًا حضرت الشرطة ..

حينها نظر بـ (الروشتة) بيده. يبدو أنها حررت بمشفى حكومي؛
ليس مدونا عليها معلومات طبيب بعينه، فقط اسم المريض
والدواء... لكنها مذيلة بإمضاء طبيب.

ناولها للبائع. فتوجه إليه بالجواب المعتاد.

- عندي البديل.

- كم يكلفني؟

- 250 جنيهاً فقط.

فتح أمين الشرطة المحضر ثم دون.. بيانات المتوفى.

اسمه، عمره، عنوان سكنه، ومتعلقاته.

يبلغ من العمر ستين عامًا.. كان يقطن وسط البلد.

وقد وجدنا بحوزته... بطاقته الشخصية، بطاقة خبز، ((كعبين))
لإيصالي كهرباء، حينها منحهم الصيدلاني أوراقا مالية ظهرت
عليها آثار تشنج قبضته.
فأرشف أمين الشرطة:
- ومبلغاً مقداره ستون جنيها.

11 إِيَّا تِلْت

قطار الليل بلا شبابيك... قطار الليل ذو شبابيك... قطار الليل بلا شبابيك.

في محطة القطار سنحت له فرصة بأن يجلس بجوار فتاتين من راكبي القطارات الفارهة، من الميكروفون علا صوت موظف المحطة. يعلن حضور القطار الذي يستقله.

- يصلنا حالا على رصيف رقم ثلاثه قطار رقم 36 المتجه من الإسكندرية الى طنطا، جميع عرباته تانية مميزة. حينها حدث نفسه.

- أي تميز هذا الذي يدعيه ذاك الأخرق؟! في حين يستكمل موظف المحطة إعلانه: يقف بالمحطات كفر الدوار. أبوحمص. دمنهور... إلخ

يدخل القطار المحطة في تودة.. لكن كركعة عرباته تعلن وصوله. يهم بالوقوف ليستقله، يأتيه صوت إحدى الفتاتين صارخة باندهاش.

- وaaaaا... قطر الزومبي وصل.
يلتقت إليها ممتعضاً.. لكنها لم تكثرث له.

يرمي بنفسه داخل القطار .. يمضي على مهل بالعربة، جال فيها كاملةً.. بحثا عن مكان للجلوس رغم امتلائها بالأماكن الخالية.

لكنه أخيرًا جلس يلسعه وبدهشه برد قد اعتاده. بالأمس كانت جميع نوافذ القطار مكملة ومحبكة الإغلاق. على الرغم أنه - أول أمس- لم يكن به نافذة قط، كان قد اعتاد اصطكاك أسنانه في الشتاء، كسرت عادته أمس لتعود اليوم من جديد.

فها هو القطار أمسى الليلة بلا شبايك.

يعلو صوت يجول عربات القطار:

- أربع شرابات رجالي بعشرين جنيه.

بعدها تتقذف أربعة أزواج من الجوارب على ركبتيه، يتحصصهم جيدًا ثم يضعهم بجانبه، رغم يقينه بجودتهم وزهد سعرهم، ينظر بعينه كأنما يمسح الركاب بناظريه. فيجدهم جميعا يفعلون مثلما فعل.

يتعجب كيف لشاب مثل هذا البائع أن يجوب القطار ذهابا

وإيابا مرة وعشر، هذا حال زبائنه!؟

يعود الشاب ليلملم بضاعته.. رافعًا عينيه لتخبطا في سقف

العربة وبزفرة ملتبهة.. يضمّد نفسه.

- الحمد لله على كل شيء.
- ينتصب آخر في منتصف العربية هاتفاً بصوت عالٍ:
- صلى على النبي تكسب.
- يتهافت الجميع من بالعربية للصلاة على النبي. بهمهمات متداخلة متطلعين إليه. حينها أخذ في سرد مزايا بضاعته.
- (يا جماعه ده مقوار سحري، بيقوّر الكوسة. تقدري تعملي منه أشكال متنوعه، وتعملي منه زينه لأطباقك. موش بس كده.. ده كمان ليه مزايا تانية كتير..)
- يتطلع إلى الشاب وهو مازال مستطرّداً في سرد محاسن بضاعته، يقوّر الكوسة عملياً لإغراء زبائنه.
- تذكر زميله الأول على دفعته، حين تم تعيين ابنا لأحد أعضاء هيئة التدريس عوضاً عنه. حينها أخبره هازناً أن.
- (الكوسة) زينة الحياة الدنيا.
- حينها انفرجت شفاته عن ضحكة أحدثت بقلبه شرخاً. حين لاحت أمامه صورة زميله وما آل إليه وضعه.
- لملم الشاب بضاعته. بعد أن ابتاع منه الكثيرون ((مقواره)) السحريّ.

في العربة التالية، ظهر محصل القطار.. ها هو يقترب بجاكرته الكحلي المهذل. همّ العديد من الركاب بالمضي قدما للعربات الأولى من القطار.

يتطلع إليهم؛ ويحك رأسه يوميا.

- تذكرة بسعر جنيه ونصف تدفعهم للهروب! تستدعي

الواقفون خلف جرار القطار لأخذ الموت بالأحضان؟!!

يقترب المحصل بسرعة كبيرة، لا يستغرق وقتًا بالمرّة في قطع

التذاكر... من راكب لآخر. العربة التي يستقلها قد فرغت إلا من

أربعة أفراد.

ها هو المحصل يصل إليه.

- تذكرتك يا أستاذ.

مد يده في جيبه وأخرج ثمنها

وضعه المحصل في جيبه ومضى. حينها همّ ليسأله:

- أين التذكرة لمّ لمّ تمنحها لي؟!!

فاستوقفه:

- من فضلك.

تطلع إليه المحصل ببؤس قد امتزج بتجاعيد وجهه رغم كونه لم

يتخطّ الخامسة والأربعين.

- نعم؟؟

حينها لاحت أمام عينيه الجيوب الكبيرة المكتظة؛ على إثر
اللعب على أوتار القانون. فباغته بسؤاله:
- القطر ح يوصل طنطا الساعة كام؟؟

تاتا.. خطي العتبة

- ح اقوم أحضر لك الفطار.
هرعت إلى الثلاجة، التقطت علبة الجبن، صحن فول علاه
البياض، وبعض خضر ذابله. ثم جلسا يتناولان إفطارهما، وهو
يبتهد بسنط.. رتبت على فخذة.
- الحمد لله، إحنا أفضل من غيرنا.
في تلك اللحظة آتاه صوت المذيعة وهي تتمايل مبرزة أنوثتها،
معدلة وضع خصلات شعرها، وبحركات شفتين تتعمدان الإثارة:
- لابد أن نتوقف عن المطالبة بكل شيء... فالعبء ثقيل،
وأخذت تسهب في وصف ثقله.
تطلع لزوجته بشفقة. ثم خرج لا يلوي على شيء.
الطريق أمامه تعج باللافتات!!
- مازال شعور الشفقة يعتريه، لمح في الميدان المكتظ لاقطة
كبيرة، مطبوع عليها صورتان لعمدة المدينة، تظهران لحظتي رضاه
وغضبه. مذيلة بإهداء ذوي الياقات البيضاء.
- في جانب من الميدان صرخت فتاة، سرقت حقيبتها وسط
الزحام، السارق يفرُّ دون أن يعترضه أحد.

مضى لا مباليا ضمن الجمع... وصل للمقهى الذي اعتاد الجلوس عليه. على أحد جانبي الميدان يمر حفنة من الناس. يحملون لافتات وباقات زهور يهتفون بكل حماسة:

- نريد هواءً نظيفاً.

على الجانب الآخر طابور يمد يديه ليلتقط خمسين جنيها ثم ينطلق معلنا تأييده المطلق لكل شيء، يشتبكون بالعصي والسلاح الأبيض مع الفريق الآخر... تتفرط أوراق الزهور. يتطلع رواد القهوة لكلا الفريقين وقد علا وجوههم الوجوم.

باغت رجال منظمة السواعد القوية المسيرة، رأهم بعينيه حين صوبوا رصاصهم صوب امرأة بعينها.. لكن أحد لم يحرك ساكنا. انفجرت رأسها؛ فانفضت المسيرة، تفرق من بصحبتها في الشوارع هربا، أغلقت المقاهي بالميدان، فر مرتادوها، وكان هو أيضا من الفارين.

عاد إلى منزله ليلا فوجد زوجته متسمة أمام التلفاز... ألقى عليها السلام ثم تساءل:

- في جديد؟؟

مصّت على شفيتها

- متظاهر قتل زميلته؛ حسبي الله ونعم الوكيل.

على الشاشة لمح تقريراً عن الحادث، وجاءه صوت المراسلة
من موقع الحدث، يؤكد ما قالت زوجته!!
كذب ما رأيته عيناه.. وبدأ يتابع التلفاز غاب صوت المراسلة
ليعلو صوت مذيعة.. يحلل الحدث.
ما رآه على الشاشة أسر عقله.
صور حية للتظاهرة حين انطلقت في الميدان، الصوت
الحماسي للمذيع يتخللها شارحا، موسيقى صاخبه، ولقطات
بالتصوير البطيء... لذلك الرجل الذي اتهم بالقتل يقترب من
القتيلة.

بدأ يحدث نفسه:

- هل كان ما رأيته حلم؟!!

عاد البث للمراسلة، التي أردفت معنا بعض رواد المقاهي
المطلّة على الميدان، ثم سألتهم:

- كنتم متواجدين وقت الحادث؟!!

في صوت واحد أجابوا:

- نعم.

وجهت الميكروفون تجاه أحدهم.

- ماذا رأيتم؟؟

فكر ملياً.. ثم أردف:

- لم أرَ شيئاً.

وجهته لآخر

- هل رأيت القاتل وهو يطلق الرصاص؟!!

- نعم.. لقد أكد برنامجكم أنه قاتلها.

وجهته لثالث

- ماذا حدث بالضبط؟

نظر إليها مطولاً... لكنه لم ينبس ببنت شفة.

وفي الخلفية ظهر أناس كثيرون يلوحون للكاميرا.

برج البغل

يقف يومياً أمام المدينة، التي بنيت على أكتافه صاغراً، يطرده أصحاب المحال الفارهة، يتأفف مرتادوها وقاطنو شققها الفخمة من وقوفه الدائم.

فهو يجوب شوارع البلدة بحثاً عن الطعام، يقتات ما تبقى من الأخضر فيها فلا يسد جوعه، يميل عليه أناس مَحْنِيُو الأكتاف، تكاد رؤوسهم تقبل الأرض. بعد أن يفتحوا حقائب تسوقهم؛ رامين له بأوراق خس مصابة بداء بنى ومتأكلة، ولا أحد يدري ما يسد ظمأه... عدا مواسير الصرف الصحي التي تنفجر بين الفينة والأخرى.

يتطلع إليه حارس بوابة المدينة متعجباً؛ فهو من القلائل الذين يعرفون حكايته بالإضافة لهؤلاء المنحنية أكتافهم. يتعجب كيف يرمي له هؤلاء بأوراق الخس!... في الوقت نفسه الذي يتذمر فيه مرتادو المدينة من وجوده، وهم لا يدرون شيئاً عن كم ما تحمله على مر سنوات عمره طاعة لكراج صاحبها.

ففي النهار كانت عروش (الكارو) الثقيلة على كتفيه، على العربية كان يجلس صاحبه وولداه متتبعين، يتجولون في البلدة... ناشرين الذعر بين ساكنيها.

وفي الليل كان يجبر سرقاتهم إلى مأواها، بعد لسعة كرياح أخرى، كان صاحبه واثقا أن لا أحد سوف يعترض طريقه، وحتى إن قُبض عليه بالسرقات، فمن يكثرث لبغل!... وإن لم يحدث فقد أتقن دوره المعهود في الحمل.

يلمحه الحارس... شعره الملبّد، الذي يتطاير بثقل مع هبات الرياح، جسده الذي صار أعجفَ، عيناه المخضبتان بالدماء، والمليئتان بالقذى؛ تقتربان من العفن.

فيشعر بألم في عينيه، لسبب ما لم يستطع إدراكه!!...يفركهما بشدة.

يسمع ذوو الأكتاف المحنية من المارة، وهم يتمصون على شفاهم متسائلين بصوت خافت:

- (ما فيش) صاحب قلب رحيم يعالجه؟!
فيتهكم الحارس.

- ما فائدة قلب رحيم... ذي جيب فارغ.

ذرات الغبار التي تنتثرها عربات الرولرز رويس لملاك المدينة
تلسع جسده؛ فينطلق راكضا رغم إعيائه، إلى حيث يقع البيت
القديم النائي، وعلى الرغم من أن البيت القديم لم يعد كما كان فقد
أصبح مجمعا تجاريا فخما، فإنه مازال ينتظر لسعتي كرجاج
الصباح والمساء.

لم يدرك بعد أن صاحبه قد باع البيت. فدوما ما كان يخبر
أبناءه، وهو ينفث دخان سجائره بعجرفة:
- الناس تتسى إذا ما انقطع الحدث.

في الصباح التالي يعود البغل أدرجه، مقتفيا آثار النجيل
المتناثرة من سيارات النقل حتي آخر جزء يتم بناؤه في المدينة.
صوت العمال، وجلبة معدات البناء... لم تثبه عن تقفي اقتفاء
الآثار. حاول أحد العمال طرده، لكن صاحب المدينة استوقفه.
- ضع له المزيد منها.

لفت تواضعه ونبله جميع العمال.. سرى في دواخلهم إحساس
بالأمان.

وبينما كان البغل منهمكاً في التهام مآدبته. سقط عليه
(الونش)؛ فسقط أرضا على جانبه وسالت دماؤه - ذات اللون
الأحمر المائل للسواد- ببطء شديد.

- توجهت أعين العمال لصاحب المدينة الذي بدا بائسا وكأن ولده
قد مات. فازداد شعورهم بالأمان.
بعدها تطلع إليه ((المقاول)):
- سيدي ماذا نفعل؟
- أكمل فوqه ما تبقى من البناء.

456 ب- طريق تايلاند

راقصة طويلة ممثلة القوام، ترتدي ((بدي وبنطالا من الفيزون)) بلون الجسم تتلوى أسفل ((الدش))، مع انسياب الماء الدافئ على شعرها وجسدها، تسلط الكاميرا على الشفتين المبتلتين، وهي تبعث قبلة في الهواء.

أسفل الفيديو مكتوب بالخط العريض:

- (للتواصل زوروا موقعنا.. متبوعا برقم الهاتف).

كان هذا هو الإعلان الذي أطلقه أحمد رشاد، من المكتب الشرعيّ في الحيّ التايلاندي؛ فالعديد من قنوات التلفاز صنعت لتبث له خصيصاً، لم تمر الخمس دقائق حتى انهالت التساؤلات على الإعلان.

لم يُفُتْ رشاد أن يكون الحي منظماً، بالشكل الذي يرضيه، فقدم الحي وتهالك أبنيته وساكنيها، لم تقف مانعاً أمام أفكاره التسويقية. كاميرات المراقبة تملأ الشوارع، عيونهم ترقب الحركات والسكنات... ترقب من استدار جسدها، من تزهو بنفسها، من يخاف عليها أهلها، ومن يتلهف أهلها على عرضها.

في استوديو المكتب الشرعي التقط صورًا احترافية، لكافة بنات الحي، في ألبسة راقية ومحتشمة بعض الشيء، بأوضاع مختلفة... ثم رتب لكل واحدة منهن ملفًا خاصًا بها... يشتمل على الوزن، الطول، مقاسات أخرى، الحالة الاجتماعية، والملف معنونًا بالرقم الذي دقه رجاله على سكن أسرتها.

على بوابات الحي ينشر مرشديه، بعد أن علمهم كل شيء. كيف يستقبلون عملاءه، يجسسون نبضهم، وبالوقت ذاته لا يدلون بأية معلومات عنه.

كان حسني أنموذجًا؛ علمهم من خلاله كيف يطيعون أوامره. حين عصاه؛ فأمر الباقيين - من رجاله - أن ينهالوا عليه ضربًا. ها هو يدور بينهم بشكل يومي.. جامعا حبات الحصى والتراب في جلبابه.. يعفر بها في الهواء وهو يهتف:

- أحمد رشاد... سيد الناس.

حسني... يذكرهم بأن رشاد أوامره دستور.

في بيته الذي يبعد ملايين الكيلومترات النقط الشيخ ذو الخامسة والستين رقم الهاتف واتصل بالمكتب. أجابته إحدى فتيات خدمة العملاء بصوت حسن.

- المكتب الشرعي.. تحت أمرك.

- هلا.. بدى عروس.
- في متطلبات معينه لحضرتك.
- بالتأكيد.
- نحن نوفر كل ما تحتاجه.
- طائرتي ستقلع غداً وبعده سأكون في مكتبكم.
- كانت تعليمات رشاد لموظفيه صريحة.
- لا تحددوا لعميلين نفس الموعد.
- في الموعد المحدد، كانت السيارة التي تقل الشيخ على إحدى بوابات الحي، استقبله أحد المرشدين، استقبلاً يليق، ثم قاده إلى مقر المكتب الشرعي.
- في الطريق كان الشيخ يلتفت بريبة، ويومئ برأسه للمرشد، الذي قال له:
- لا تقلق.. الحي أمان.
- توقفت السيارة.. أمام فيلا تحمل الرقم 456 ب- طريق تايلاند وطلبا مقابلة رشاد. مؤكداً أن هناك موعداً سابقاً.
- أسبلت سكرتيرته عينيها بانحناءة ذكية، ثم أردفت.
- تمام يا أفندم..
- دلف الشيخ إلى الداخل فيما ودعه المرشد.

رحب رشاد بالضيف ثم سأله عن مبتغاه.

وحين بثه الشيخ متطلباته أردف:

- حسنا لنطالع البنات المطابقة، بعدما ننتهي من تناول الغذاء.

وقع الاختيار على أربع.

بعدها دق رشاد الجرس لسكربتيرته:

- (خليهم يجهزوا الغدا) .

على الغذاء كان الشيخ يبثه أهواءه وهو يدقق فيها بعناية الخبير ثم استغل صمت الشيخ لوهلة ودق لسكربتيرته ثانية.

- اتصلى ب 106 تحضر وتنتظرنى.

انتهيا من غدائهم، وابتدأت جلسة العرض. أربع بنات ما بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة بصحبة أمهاتهن، طولهن لا يقل 165 سم، ووزنهن لا يزيد عن 85كجم.

طوال الجلسة كانت كل فتاة تستعرض تميزها عن زميلاتها، فالزيجة التي سنتتشلها وأسرتها من أنياب الفقر، تستحق هذا العناء وأكثر.

أشار الشيخ لرشاد بأنه انتهى، فأنتهى الجلسة، على وعد بالاتصال بالعروس المرتقبة.

كان بادياً عليه أنه لم تَرَفُّهُ إحداهن!
حينها اقترح رشاد أن يستتبع الأمر بملف أخير فوافق الشيخ.
دق لسكرتيرته:

- أريد 106.

بغنج خجل تدلف 106 للداخل، تجلس أمامهم، بعدها يستأنن
رشاد في الخروج.

استغرقت جلستهم مدة أطول من الأولى، فأعلن الأول رغبته في
إتمام العقد عليها، بشرط أن يكون نسخة واحدة فقط.
وافق رشاد شريطة أن يحصل على ثلاثة آلاف دولار مهراً
للعروس، وشهادات استثمارية بما يعادل ستة آلاف أخرى... تأمينا
لمستقبلها.

بعدها اتفقا على أن يمنحها مهلة يومين؛ لتعد نفسها للزواج،
قبل أن يرحل ترك الشيخ عمولة المكتب لدى السكرتيرة.
في بيته منح رشاد العروس خمسة آلاف جنيه؛ نصيبها من
مهرها بعد أن ألقى عليها يمين الطلاق.

رقصة الموت

يقف مرتعش الركبتين، في أقصى جانب في جناح النوم.. في قصر ستوكهولم المنيف يحمل أمتار الأبيض فوق كفيه. يفيق عليه مالك القصر من رقدته، التي كادت تكون أبدية.. يشير إليه مهدداً:

- ما هذه القمامة التي تحملها، حتى إن مت...مثلنا يكفن بثيابه.

ثم تحول بناظريه لنائبه... فساعده وخصيانه على الاتكاء. حينها... استطرد.

- هل كل شيء على ما يرام!؟

- نعم.. نسب تأييدكم مكتسحة، والجميع في انتظار الأوامر.

في صبيحة اليوم التالي... كانت عربات منظمة السواعد القوية

المدرعة تملأ الشوارع، التي تخلو إلا من رجاله.

شاحناتهم القاتمة اللون قد أفرغت العديد من النسوة، اللاتي

تحركن للرقص أمام المارة القليلين بالطرقات، بقدمين ثقيلتين،

وابتدأ في رقصة الديك المذبوح الفلكلورية... في الشارع الخالي
على صدح أغنية موطني.

تنتقل صفارة الانصراف للشركات.

يسرح العمال جبراً... لأداء الواجب الوطني، الأوامر واضحة.
يرفع رب العمل سبابته موجهها تحذيره إليهم.

- تذكروا أن إخلاصكم لأرباب النعمة هو من صميم
إخلاصكم لنا.

تفرغ شاحنات الترحيلات نسوة أخريات..

تطأ قدم إحداهن الأرض فتلمح الباشا... بلامحه الميتة ذاتها،
تعاضمه الملعون، حاولت أن تختبئ لكنه لمحها؛ فغمزها متخلصاً
من (زهر) سيجارته.

حينها تذكرت معاناتها في عنبر الآداب، تختلط على أنفها
رائحة شواء فخذها حين أطفأ فيه سجائره لتكتمل متعته، ورائحة
شواء كيلو ونصف من اللحم، يصلها من رجل الأعمال الأشهر
مرفقاً بالشهرية.. ليحافظ على صوتها.

ترتجف، يعلو منسوب الأدرينالين بجسدها، وتبدأ في الرقصة
ذاتها.

تلتقطها كاميرا التلفاز ... فتزداد ليونتها لعشر أضعافها.

المواطنون كبار السن يأتون للمقار، واحدًا تلو الآخر، يضعون أصواتهم في الصناديق المتخمة بالأوراق.. ثم ينقطع خيط وصولهم...

في الظهيرة تدور فتيات منظمة السواعد القوية الممشوقات القوام، مرتديات لباسًا يكشف مفاتنهن، على المقاهي ومحطات القطار..

يتطلع إليهن الجميع كما لو كن أجنبيات، تتمايلن على الظامئين، تخرهن بمميزات الديمقراطية التي تنعم بها ستوكهولم، بضرورة الحفاظ عليها، ثم ترحل الواحدة منهن تاركة رقم هاتفها، وغمزة لا تخلو من وعد.

متوالية ستوكهولم

الموقف يكتظ بأناس يتدافعون ويتشاجرون، في محاولة لاستقلال ((الميكروباص)).

تحاول إحدى العجائز الركوب، يسابقها الشباب فتسقط أرضاً، ينفرط كيس خبز كانت تحمله بيديها، يلممه أحد الواقفين متمناً.

- حرام نعمة ربنا.

فيما بقيت العجوز على الأرض، تحاول النهوض. بينما ينبعث صوت أخرى، تنهر أحدهم على إثر لمسة ما. تطلع إليها الواقفون جميعاً باندهاش وصمت.

ولم تمر لحظات حتى تأكد السائق أن كل كرسي في سيارته... يحمل راكباً إضافياً، يجلس ببهلوانية على الهواء أو على الراكب الذي يجاوره؛ جريا على القانون الذي استنته هو وزملاؤه بزيادة الحمولة عن المقررة.

بعدها أدار عجلة القيادة، وضغط على زر الكاسيت، انطلق بسرعة عالية.

انبعث صوت أحمد شيبه، وهو يغني.

- (الدنيا ماشيه بظهرها حطت عليا، وقالتلي لما سألتها انت الضحية..).

أخذ يميل بجسده على عجلة القيادة ثم يتماسك، يدندن مع الكلمات بصخب، ومزاج متضارب يصيبه الشجن أحيانا، لكنه لا يؤثر على (السهلة).. تلك التي تختلط بدخان سجائره.

فيما يتمعن الركاب في كلمات الأغنية، يرضخون تحت نيرها. تتطلق السيارة، التكدس يخنق الجميع، لكنهم يتكيفون مع الأمر؛ فهناك من يقلص جسده، آخرون يتقلص جسدهم رغماً.

مع الأغنية تعلو وتهبط في رأس الجميع، صور لمدراء متعنتون، أزواج متسلطون، وزوجات نافرة. يصيح راكب ملتجٍ بالسائق.

- اقلل الأغاني يا أسطي وشغل قرآن.

هنا يضع السائق قدميه بغتة على الفرامل، ويقف لا مباليا بالثمانية عشر فرداً الذين يقلهم... زاعقاً:

- أنا أشغل اللي على مزاجي. مش عاجبك انزل.

تعاليت أصوات بعض الركاب لتهدئة الأمر.

مال راكب بجانب السائق على رأسه يقبلها.

- حقهك عليا يا أسطي.

وربّت شاب بجانب الملتحي. على فخذيه.

- حقك علينا يا شيخ.

ثم ساد صمت، لم يقطعه إلا صوت الشيخ، حين همس لمن بجانبه.

- سيصب في أذنيه رصاص يوم القيامة.

همّ الشاب ليجادله، لكنه أحس بالألم يغزو قدميه، متذكرا (الفلكة) التي كان يعلقه فيها شيخه الكفيف؛ حين يخطئ، صراخ زملائه حينها... فأوماً برأسه موافقا.

تكسد السيارات في الكمين يسد الطريق، فتصمت الهواتف النقالة، ويندس الملتحي في مقعده. الجميع يترقبون.

همس أحدهم لزميله بخصوص الحمولة الزائدة.

سمعه السائق، أحس بوخز في مؤخرته؛ فوضع حزام الأمان.

المدينة الموشومة الجدران

صباح النور يا ابو أحمد.

ما كاد يفرغ من رد الصباح على جاره، حتى قرأ العبارات التي
كتبت على جدار بيته، البيت المقابل له بلون أحمر قانٍ، متراسة
شطر أسفل الآخر كقصيدة نثرية...

أخذ يقرأها بتؤدة، وتسري في جسده قشعريرة... لا يدري
كنها.

أنا المهدي المنتظر.

إلى جميع المتعبين.

يا من أعياكم الانتظار.

أتيت لأروي ظمأكم.

لأنصركم وأرفع عنكم جميع المظالم.

فاتبعوني وأطيعوا أمري.

لم تكتب على بيته وبيت جاره فحسب، بل على كل أبنية
المدينة... أخذ يراقب الناس بالشوارع، وقد أصابهم الدهول، وتلتقط
أذناه بعضاً من حديثهم:

- اقتربت الساعة... العلامات الكبرى!! فلنسارع بالتوبة...

وهل تفيد التوبة الآن؟!

وأخرون يتمتعون بزهو:

- نحن على الحق... جاءنا الخلاص.. هذه بشارة النبي!

سندحر مؤامرات الغرب.

في الميدان انتصبت لافتة ضخمة، تصدرها رجل يرتدي بزة سوداء، ذو لحية غير مشذبه تكاد تبلغ الأرض، وأسفل الصورة كتب الآتي.

تعلن جماعة الوعد الحق عن مؤتمرها الأول غدا بعد صلاة العصر، تهيب بأهل المدينة جميعا أن ينضموا إلينا؛ فإن الأمر جلل.

لمح اللافتة.. فتلعثم كما فعل الكثيرون.

في اليوم التالي اختار موقعه في الميدان، وانتظر..

هبط الشيخ على المنصة، كأن صورة اللافتة صار لها صوت.

(ميكروفونات) موزعة على كل ناصية... أشعرت الجميع وكأنه

يخطب في غرف نومهم.

في نهاية الخطبة لم ينس الشيخ أن يكرر على مسامع

الحضور.

- الجمعة هو يوم النصر، هكذا حدثني رسول الله في رؤيائي بالأمس.

تناقلت صفحات (السوشيال ميديا) صور الجدران المنقوشة بالأحمر القاني. على كثرتها فالمدينة كلها لا تعلم كيف ولا متي! ومن خط تلك العبارات على جدرانها؟!... وأيضا - تناقلوا- صور المؤتمر وبشارة الشيخ.

ملايين المشاركات قد تمت للخبر الرئيس، ذلك الذي نشرته جريدة الخبر، تبعتها بعد ذلك كل الجرائد، وملايين (البوستات) التي تحث على التوبة قبل فوات الأوان.

الجميع تحت تأثير أثيري، يصعد بنفسهم ويهبط ما بين الشجاعة، الخوف والترقب. لكنهم يتفقون على أنها المعجزة!! يخاطب نفسه سراً.

- ومن رأيهم في الفجر يكتبون على الجدران... ألم يكونوا بشرا من لحم ودم؟!!

ثم عاد لينكر ما باحت به نفسه.

- هي المعجزة.

احتشدوا الناس يوم الجمعة، منذ الصباح الباكر في الساحات يصلون وبترقبون ظهوره، لكنهم لا يدرون أين سيظهر أو كيف؟!!

مقاهي المدينة تعج بالمقاومين الفارهة منها والفقيرة، بيوتها تنهب.

السراق يحملون كل ما خف وزنه وغلا ثمنه، ويتركون خلفهم على كل باب... ورقة كتب عليها بالخط العريض:

- لم تسرقوا ولكننا نعد للمعركة الأخيرة.

الجميع في الشوارع، يحزمون أمر الفرق التي سينضمون إليها، الأقارب والأصحاب سوياً؛ حتى تكتمل صحبتهم للموت، مكثوا منتظرين أن يعلن المهدي عن نفسه ليكونوا في صدارة جيش الخلاص.

المدينة بأكملها في ترقب، لم يعلن المهدي بعد عن نفسه بعد. حاول أن يلقي بحجر وسط الماء الراكد في القهوة التي كان ينتظر عليها.

- هل يكون مجذوباً من فعل بهم كل هذا؟! وأنا في انتظار
اللا أحد!

إلا أن الجميع دحضوا الفكرة، وصاح أحدهم بصخب مسحور.

- المعجزة.. كم خارق. المدينة كلها موشومة جدرانها، ولم يره أحد.

رد عليه آخر بانفعال شديد.

- لا بد أنه كذلك ألم يكن بشرى النبي..
- علت همهمات جماعية تردد بعضها تلو الأخرى.
- نعم... نعم.

على التلفاز.. ظهرت صورة حيه لدخان كثيف.. يتصاعد من حريق الآلاف من أطنان القمامة ثم انكتمت الأنفاس؛ حين صدر صوت من التلفاز يعرفونه، يأمر كل رجال المدينة بالتأهب لمعركة آخر الزمان بجمع سلاحهم، والنساء ليكنن في مؤخرة الجيش. انصرف الجميع بسرعة البرق لبيوتهم، لاحت لأعين أغلبهم الورقة، لكنهم لم يكثرثوا لها، وانهمكوا.. يجمعون السيوف، العصي، ومسدسات الخرطوش المخبأة تحت... مراتب الأسرة.

بَصْرِكُمْ أَقْتَنُوا أَنْفُسَكُمْ (2)

يعلو صوت التلفاز ... رجال كثر يلبسون مثل أبي، وآخرون في
عمائم وقفاطين على اختلاف ألوانها، هذا الرجل أعرفه:
- إنه الأسقف.

على الشريط أحمر أسفل الشاشة... مكتوب (جلسة صلح
عرفيه).

أدلف إلى غرفتي.. لأستذكر

- (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ
وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا).

وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ... أكررها مرارًا.. ينطفئ صوت
التلفاز، ينفتح الباب.

- (ياللا بسرعة... متأخرين على قداس العيد).

- الامتحان بكره.

- ليس مهمًا.

- أمي.. ما معني تهجير؟؟

² آية من الكتاب المقدس إنجيل لوقا إصحاح 21 العدد 19.

لم أتلقَّ حينها إجابة.
الآن ينفتح الباب كثيرًا. لكن أُمي لم تعد تطل لتتعلجني.
(يا أبانا الذى فى السماوات. ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك.
لتكن مشيئتك) أجيئك لتطبيني. خمسة كيلو مترات، مسافة قصيرة
لكنها أقصى طاقتي... أحب أن آتي بيتك ماشيًا.
ضحيج إشعارات الفيس بوك يخرق أذني. أبناء معموديتي
يعلنون ارتفاع عدد ضحايا الكنيسة، يصبون جام سخطهم على
القتلة يشيرون إليهم بـ (هم). وإخوة وطني يبرئون أنفسهم ممن
فعلوها وتتهاوي منشوراتهم... تؤكد ترابطنا، يشيرون للقتلة بالاسم
ذاته:

- من هم ومن يقف خلف - هم؟

المئات من مقاطع الفيديو تعج بصور الضحايا. الأرض
المزرجة بالدماء، صراخ الآباء والأمهات، وانتحاب الأطفال.
(عاجل)

مقطع (فيديو) تبثه جميع القنوات. يظهر ملامح وجه
الانتحاري بعد تجميعها مذيلاً بخبر القبض على (كامل) أسرته.
على مشهد مماثل فتحت عيني، تداهمني ذكرى عام 1980.

فالدماء على جدران بيتك، رسمت بسريرية رهابي للآن. كنت
في العاشرة، لكن وجه المنتحر ورأسه المهشم.. مازالا يطاردانني.
أعشق مدينتي، والمشي في شوارعها:
- ترى ما تلك العلاقة التي تربطنا بأرض لا تعتبرنا أبناءها؟!
أحيانا أنخرط في وقفة الأرض، أهتف بأعلى صوتي.
- لااااا... لاقتطاع أي جزء من وطني.
وأحيانا أخرى أشعر أنني لا أستطيع الوقوف حتى مع نفسي.
يميتني التفكير فيمن قبضوا، وما قد يؤول إليه مصيرهم.
فما بين قتيل أو انتحاري. تتفرق دماء.
أرددها في مشيتي كثيراً:
- (بِصَبْرِكُمْ أَقْتَنُوا أَنْفُسَكُمْ)
عربات الأتاري تصطفُ بلونها القاتم، تتبعها سيارات الإطفاء
والإسعاف، دبابات ودشم إسمنتية. تطوق الكاندرائية..
بعض المارة يلتفتون ليتابعوا المشهد. ليست هذه المرة الأولى
التي أراه فيها وربما لا تكون الأخيرة، لكنه دوماً يترك بي أثر
مرتبك... لم يشعرني قط بالأمن.

تصخب فجأة (كلاكسات) السيارات. تختلط بالأناشيد الكنسية.
يقترب موكب مليء بالسيارات الفارهة، يتقدمه عدد من الدرجات
النارية، تنفتح أبواب الكاندرائية على مصراعيها.
في الصباح كان على باب الكنيسة الموعودة تأمين كهذا، أيضاً
موكب يتفحص تأمينها.

ينتصب الحراس متأهبين لأي أمر أو التفاتة.
يدلف الموكب للداخل في صخب الأبهة، وهدأة العادة. ثم تعود
الأبواب لتصفد من جديد.

كاوتشوك سياراتهم... يخضب الممر بالأحمر.
يستوقفني أحد رجال الأمن لأبرز هويتي وأنا أحد خدام الكنيسة.
أدلف إلى الداخل.

- ترجل ملاك السيارات- فوق السجادة الحمراء للداخل. ها
هم يعانقون الكاردينال، وها هو الرجل عينه. أيقونة الصلح.
رأيته يوم الجلسة في التلفاز.
محطات التلفزة بأسرها قد سجلت حضورها. يتغنون بذات
الطنين.

يحين موعد العظة، يعلى الكاردينال كرسي العظة، يستهل
حديثه مرحباً بالكبار فرداً تلو الآخر.

حقيبة فيرنيه برتقالية

كعود قش تتحني في منتصف عباءتها المهترئة، تلتقط بيديها العاريتين الفوط الصحية، حفاظات الأطفال، وقصاصات أقمشة ملونه، سرنجات فارغة، وقشور ليمون.

تتشبث تحت إبطها بحقيبة (فرنیه) برتقالية.

تضع ما جمعت في كيس بلاستيكي، وتلقى به أمام الباب الخشبي العتيق لدورة المياه، تمسك بجرذل صغير تملأه بالماء، وفجأة يتحول المجمع التجاري إلى بحيرة ماء.

يصطدم بها أصحاب المحال كل خميس، حين يعبر شلال الماء عتبات محالهم، تصوب إليهم عينيها الغائرتين في محجريهما، تومئ إيماء تتراوح ما بين الإذعان والاستتكار، وتستمر في التجديف بأكياس القمامة التي قد نثرتها في الماء. تطل بجمجمتها من باب أحد المحال متسائلة.

- ممكن شاي..

تفتح حقيبتها البرتقالية، وتتناول منها كوب زجاجي رخيص.

- (ربع ملعقة شاي وخمسة سكر).

تجلس في أحد الأركان ترشفه على عجل. تلقى عليها إحداهن السلام فلا تجيبها. إلا بنظرات عينيها المستريية. ثم تمد إليها يدا بخمسة جنيهات فتلتقطها؛ بعد أن تلمع بعينيها ابتسامة ما تلبث أن تخبو.

تغرق في ذكرياتها لبعض الوقت مما يجعل الجميع يصدقون. ما تحيكه عن نفسها حكايات متضاربة. مسحة اللحم التي تكسوا عظامها، تجعلهم غير قادرين على تحديد عمرها.

- ربما تكون ستينية.. ربما يكون لديها من البنات تسع. هكذا كانوا يحدثون أنفسهم.

تنهض بديناميكية تقبض على حقيبتها البرتقالية، تستمر التجديف بأكياس القمامة حتي تنتهي بعد أربع ساعات، تدعو إحدى العاملات لحفل زفاف ابنتها الكبيرة.

- أنتِ متزوجة!؟

ترتاب وتنزوي نظراتها من جديد.

يفاجأ بها العاملون.. في الصباح التالي مغشيا عليها، وبحضنها حقيبتها، يلطخ عباءتها دم نزفته طوال الليل.

يلتقطونها حقيبتها تَزِنُ عنها كثيرا، يُرقدونها على فراش بغرفة الحارس.

يتطلع إليهم الطبيب مرتابا.

- انخفاض في الضغط، نزيف في الشرج. تمت تصفيتها تدريجياً.. وزنها كعمرها لا يتعدى الثلاثين. عادت إليه من السامعين نظرات الارتياب. فتحت إحداهن حقيبتها البرتقالية؛ فاصطدمت يداها بالكوب الزجاجي، مثلث جبن رديء الصنع ورغيف خبز، و((بكيس)) شفاف وجدتها قد دست بطاقتها الشخصية ودفتر بريد.

عزمت على المضي بها لمحل سكنها، كان عليها أن تأخذ طريقها من شوارع الحي الفارحة للعشش التي تقع في الخلفية. تتناقل قدمها للأرض كلما اقتربت. نقرت على الباب

فطل أحدهم من خلف الباب الخشبي

تدعي - صاحبة الحقيبة- أنه عمها

يدعي هو أيضا ذلك.

تحضن حقيبتها وتراجع للوراء، وتراجع معها من أوصلتها. تطل جاراتها من نوافذ تقترب من الأرض. - (ادخلي بيتك.. اخزي الشيطان).

بدأت الفتاه بصحبته في سرد ما حدث. لمعت عينا العم
المزعوم والتقط دفتر البريد.. ثم نادى على فتاة زعم أنها أختها:
- (تعالى خديها).

طلت فتاة وزنها لا يتعدى الثلاثين ولا عمرها، عيناها غائرتان
في محجريهما، لم تتبس ببنت شفة، بدت منها لهم نظرت ارتياب
وترقب.

استدارت آخذة بذراع أختها واستدارت معهما بقعنا دم.

بوصلة تشير للجنوب

ملتفون حول المائدة المستطيلة، رجال كثر ببزات سوداء، تفوح منهم رائحة الثراء، وأمام كل منهم تنتصب زجاجة مياه معدنية، لشركة أجنبية ضارية بجذورها في الأرض. مناقشات ومباحثات مطولة فيما يمكن أن يكون حلا للأزمة.. تساءل أحدهم:

- هل نتفاوض مع الأم العظيمة من جديد؟!

آخر:

- المفاوضات لا طائل منها.

آخر:

- المعاهدات الدولية لا تلغى آثارها إلا...

ثم ساد صمت طويل قطعه آخر:

- أخبرني صديق عن عالم فلك لا تقف أمامه معضله... ما

رأيكم هل نستعين به؟

جاءه جواب أغلبهم بالموافقة.

بعد ساعتين كانوا يجتمعون بالرجل، الذي حضر إليهم يحوطه

الكثير من الحرس الخاصين.

استمع إليهم جميعا في صمت، محاولا أن يجد حلاً جذريا
للأزمة؛ فالأمر جلل، وأخيرا نطق.

- ستبنون مذابح على امتداد النهر، واجعلوا لها محرابا يتجه
ناحية الجنوب وسأرسل رجالى ينقشون فوقه بعناية هذا الطلسم.
- أخذ يخط بيديه مسرعا خطوطاً متوازية بالعرض تقاطعها
أخرى طولية ثم رفع إليهم يديه حاملا إياها.

خل		ورد		جوزا		سرطان
اسد		سنبه		ميران		عقرب
قوس		جدى		دلو		حوت
ناربه		ترابه		هوائه		مايه

وحالما يقترب المشتري من الأرض... قدموا قرايينكم.
شريطة أن يكونوا.. شبابا لا يتخطون الأربعين.
حينها علت الهمهمات.

- أين المنطق.. قرابين؟!
- كيف؟!
- تستحيل البلاد لبحر من الدماء!
تطلع إليهم كثيرا ثم أردف:
يا سادة لقد لجأتم إليّ لآتيكم بحل، ويعلم الله أنني لو وجدت
حلا آخر يأت بالفيض لما تأخرت.
انفض الاجتماع، وأعلن بعد ساعة عن اجتماع مغلق..
أُخذَ فيه قرارٌ بإقامة المذابح.

في اليوم التالي.. نشرت إحدى الجرائد ((مانشيتا)) عن الأمر،
صودرت على الفور من الأسواق.
لكن الأيدي القليلة التي وصلت إليها.. تكفلت بنشر الخبر،
تداولته صفحات التواصل الاجتماعي.
لم تمر الأربع وعشرون ساعة حتي انتشر في البلاد.. انتشار
النار في الهشيم.
ازداد الشطط، والصراعات الدائرة فوق نواصي الحقول، للحاق
بدور الري.. تزداد اشتعالا. همسات من هنا وهناك عن ضرورة

تقديم القرابين. لكن أصحابها لم ينتبهوا على العمر المشترط
تقديمه.

كثرت أعداد المفقودين ، كثرت القرابين.
حفرت مقابر جماعيه على الضفتين.

هُوَ صديح الهوى غَلَّابٌ ؟

مسح بصقة مديره، التي أغرقت وجهه بعد عشر ساعات من العمل.

نظر للسماء، أمسك الدمعات التي كادت تفر من عينيه، ثم كتم غيظه، ومضى في طريقة للبيت.. في الوقت ذاته انفتحت أربع لوحات معدنيه. تقبع بمقار تنافسيه.. طالبة الرقم السري، وما إن تم إدخاله حتي أضيئت اللافتات الضوئية في الحي بأكمله..

يضع يديه في جيب معطفه، ويزفر للأعلى متابعًا قراءة اللافتات التي استقرت عليها كلمات مختصرة

(دماغك عندنا، خلي الدماغ صاحي، أخرى كتبت بالأحمر العريض- نحن نختلف عن الآخرين.. إلخ)

على جانب كل لافتة منها.. صورٌ لمدخنين منتشيين بما ينفثونه.

توقف أمام كشك صغير، ابتاع سجائره المفضلة، ناول البائع دولارين.. ثم أشعل واحدة، ومضى.

على جانبي الطريق مشاجرات عده، تشتبك فيها أجساد تتمايل
مع هبة الريح، تتعالى الأصوات بألفاظ بذئية، والبعض يحاولون
فضها.

تعثرت قدميه ببطانية تفوح منها رائحة ننتة تلتف على أحدهم،
متوسد لافتة بدت منها جملة:

((جيل يبني وطن)).

ضرب كفا بأخرى مقهقها يحدث نفسه.

- شر البلية.. ما... ها..ها..ها.

بجوار لوحة فارهة تستقر على متجر فارغ، كتب عليها نشتري

كل شيء.

يتهاوى إليه صوت أحدهم، وهو يتمتم لصاحبه.

- (فيها إيه لما تبيع فص، أنت عمرك حسيت بوجود

الاثنين)؟!

ناصية شارعهم الضيق ينبعث منها صوت صاخب، مهرجانات

تختلط بالقرآن، الترانيم، وصوت السيدة / أم كلثوم متسائلة.

هو صحيح الهوي غلاب؟!

أجابها في نفسه بتلقائية:

- (معرفش أنا).

يصل إلى بيته، يتشبع نعله بالماء الذي ترشه جارته يوميا أمام منزليهما، ممزوجا ببلورات الملح الخشن، وماء الورد، العدس الأصفر.. فيلوي شفثيه في حين تضرب هي على صدرها، وتتمم بكلمات لم تلتقط منها أذناه سوى.

- ربنا يستر.

أدار المفتاح في باب شفته، ملأت رثتيه رائحة دخان تنبعث من غرفة نومه، تلتها ضحكات مترنحة...

على عجل فتح باب الغرفة وفيما تواري زوجته عريها صفعته على وجهه.

- إيه رجعاك؟!!

متداركا صدمته:

- فكرت..

لم يكد يكمل فيما فكر حتي طعنه العشيق سبع طعنات، سقط مضرجا في دمائه.. متذكراً نتائج تلك الكلمة ((فكرت)) التي تركت آثارها حتي اللحظة على جسده.

تذكر وجه أمه وهي تقترب منه طفلا وفي يديها ملعقة ساخنة تلسعه بها، و عصا مدرس الرياضيات، أمن الجامعة يصطحب خارج المدرج، و بصقة مديره على وجهه.

خريشات على الهامش

احتفل مع باقي أعضاء النادي بالعام (الروتاري) الجديد، بعد أن انتهوا، عاد لفيلته الكائنة بمدينة صناع القرار، طالع حسابه على (توتير) ليقراً تغريدات من يتابعهم.

أعضاء الروتاري يبذون سعادتهم باليوم، المعارضون يبثون معارضاتهم، المتنفذين يصرحون، وأصدقاء المهنة يعلنون عن استضافتهم على التلفاز بميعاد البث..

قرأ لهم جميعاً، ثم أخذته الحماسة فأطلق (هاشاج).

تصبحون_على_وطن.

ثم غرد..

- لا تتشددوا بالمؤامرات الخارجية، فنحن متأمرون...على أنفسنا.

مقعده الوثير بنقابة الصحفيين، صوته العالي، أراؤه المربكة، المرضية في الوقت ذاته لجميع الأطراف!!... يجعلونه محل اهتمام الجميع.

لم تمر النصف ساعة حتي تمت مشاركة تغريدته آلاف المرات، جمع ((الهاش تاج)) آلاف التغريد على غرار.

**لك الله يا وطني.

**أسمع ضجيجا لكن لا أرى طحنا.

**نسوا الله فأنساهم أنفسهم...

وضع آخر صورة للمهاتما غاندي كتب عليها.

** كثيرون حول السلطة.. قليلون حول الوطن.

في اليوم التالي كان خلف مكتبه، ينفث دخان سجائره، مفكرا
بإمعان في مقالة الغد، خريش بقلمه أعلى يسار الورقة... رسوما
كثيرة، نجوما، دوائر، وأسنان تروس معدنيه... تتقر خادمته الباب
بخفة كما أمرها، وتدلف للداخل، تضع القهوة، تمضي.

مد يديه إلى فنجانه بروتينية، وأخذ يرشف منه... ثم بدأ يخط.
(إن عزف بعض الوزارة على الأوتار البائدة مثيرٌ للشفقة؛
فالأوضاع قد تغيّرت، بينما.. لا تزال - هي - حبيسة الأمس،
أعضاؤها لا يسعون للانفلات. يتشدقون بكلمات شعبنا منها حد
التخمة. الإرث الثقيل، قلة الموارد!!)

يرن جرس هاتفه المحمول، يلتقطه بتأفف.

- مساء الخير.. (خلاص.. ماكنتش قادر تنتظر شويه).

- حقك عليا.. يا سيبويه زمانك.. (الشلة مجتمعه ومعانا

(نرمين)

- ح أنهى المقال وأجى حالاً.

يضع الهاتف، ويعود للخريشة من جديد، محاولاً أن يستعيد صفاء ذهنه، ثم عاد ليكتب..

(لكن هذا لا ينفى أن الزيادة السكانية المفرطة، تلتهم الأخضر واليابس وأنها مسؤولة عمّا آل إليه وضعنا، لا تسمعوا لدعاة لا يعون.. يخبرونكم بأن التكاثر والتناسل مدعاة لفخر النبي بكم!!) يرن جرس الهاتف.. يأتيه صوت أعلى واثق..

- انتهيت من مقال بكرة؟

- حالاً.. ح أبعث لك نسخة منه.

يبعث له بنسخة إلكترونية من المقال؛ فيقرأها، وبعد دقائق يأتيه الجواب.

- يوماً بعد آخر تثبت لي... أنى أحسنت الاختيار.

- ينتعش مزاجه، ثم ينقر فوق لوحة المفاتيح. مردفاً.

- أخلجتم تواضعنا.. يا أفندم.

بعدها بعث بمقاله للنشر، وهب واقفاً، حتى يلحق بالليلة من بدايتها، مع نزمين التي حتما ستكون على أتم إستعداد لإرضائه.

لكنّ ستوكهولم تمتد في أرجاء العالم، تنكش في أحد جوانبه،
وتتسع في الآخر، وهناك في اللاوعي يخلق بداخلنا
كائن ممسوخ يؤثر بعنف على وعينا.

المحتويات

9	لحن ناي
11	أومبلاً ..
15	ألا ترى
19	من فضلكم هدتوا السرعة
23	مرفوع مؤقتاً
29	11 إلا تلت
35	تانا.. خطي العتبة
39	برج البغل
43	456 ب- طريق تايلاند
49	رقصة الموت
53	متوالية ستوكهولم
57	المدينة الموشومة الجدران
63	بِصْبَرِكُمْ أَقْتِنُوا أَنْفُسَكُمْ
69	حقيقية فيرنيه برتقالية
73	بوصلة تشير للجنوب
77	هُوَ صَحِيحُ الْهُوَى غَلَّابٌ ؟
81	خربشات على الهامش

